



شذرات من حياة الإمام



إعداد

شعبة التبليغ - قسم الشؤون الدينية



شذرات
من حياة الإمام الرضا عليه السلام

إعداد
شعبة التبليغ

قسم الشؤون الدينية



أسم الكتاب: شذرات من حياة الإمام الرضا عليه السلام

إعداد: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الناشر: العتبة العلوية المقدسة

المراجعة: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

قياس: ١٥ × ١٠

عدد الصفحات: ٩٦

عدد النسخ: ٥٠٠٠

الموقع الإلكتروني: www.imamali.net

البريد الإلكتروني: tableegh@imamali.net

موبايل: ٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦



المقدمة :

حياة العطاء مصدر إشعاع للفكر، ومنهل عذب للخير، وينبوع فياض بالحكمة، ورصيد ضخم في الكمال والمعرفة، وطاقة جبارة في العلم والأدب تستوحي الأمة منها الإيمان الصادق، والعقيدة الحقة، والذود عن المبدأ، والخلق الكريم، والمثل والكرامة، فهي - حياة العطاء - مدرسة كبرى للإنسانية، ومعالم وضاءة لتحقيق الحق والعدالة.

وليس هناك في الأمة من يساوي أئمة أهل البيت عليهم السلام في عظمتهم وفضلهم، ولا يباريهم في شرفهم ونسبهم، ولا يرتفع إليهم في مقامهم ومكانتهم، فهم عيش العلم، وموت الجهل، وأصول الكرم، وقادة الأمم، والثقل الذي تركه الرسول الأعظم ﷺ بين ظهراني الأمة، وجعلهم نظراء القرآن الكريم، ونصّبهم خلفاء له ﷺ على الناس، وحكاماً على الخلق، وساسة للعباد، وأمرأء على البلاد.

شذرات من حياة الإمام الرضا عليه السلام

والإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أحد أعلام هذا
البيت الطاهر، وهذه شذرات من حياته المباركة، بين
يديك أخي القارئ، نسأل الله تعالى أن ينفعنا بها في
الدارين، إنه سميع مجيب .

نسبه الشريف عليه السلام :

الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام ينحدر عن سلالة طاهرة تتصل بالنبوة والإمامة الإلهية وتمتد متشعبةً في بيوت الأوصياء والأولياء عليهم السلام، ومن كانوا من قبل على دين الحنيفية وملة إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام.

الأب:

أبوه الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام الذي لم يطق أعداؤه صبراً على مدحه، فذاك قاتله هارون العباسي يشير إليه ويقول لابنه المأمون: هذا إمام الناس، وحنة الله على خلقه، وخليفته على عبادته... موسى بن جعفر عليه السلام إمام حق.... والله يا بني، إنه لأحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله مني ومن الخلق جميعاً... (١).

الأجداد:

وإذا أردنا أن نتعرف على الآباء، فهم: الأئمة الطاهرون، والحجج الأوصياء المعصومون، ولاة أمر

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق: ج ١، ص ٨٥.

الله، وخزنة علمه، وخلفاء رسول الله ﷺ، نور الله وأركان الأرض، والعلامات والآيات، وهم الراسخون في العلم والمتوسّمون، ومن وردت الأحاديث الشريفة الوافرة من طرق المسلمين جميعاً بالنصّ على إمامتهم على لسان النبي الأكرم ﷺ بأمر من الله «جلّ وعلا»..

من ذلك: عن ابن عباس قدم يهودي على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد ﷺ إني أسألك عن أشياء.... إلى أن قال فأخبرني عن وصيك من هو؟ فما من نبي إلا وله وصي، وإن نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، فقال ﷺ: (نعم، إن وصيي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين)، قال يا محمد ﷺ فسمهم، قال ﷺ: (إذا مضى الحسين فابنه علي فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر فإذا مضى جعفر فابنه موسى فإذا مضى موسى فابنه علي فإذا مضى علي فابنه محمد فإذا مضى محمد فابنه علي فإذا مضى علي فابنه الحسن فإذا مضى الحسن فابنه الحجة

محمد المهدي فهو لاء اثنا عشر^(١).

الأم:

أمّا أمّه عليه السلام فقد وردت لها عدّة أسماء، سابقة على اقترانها بالإمام الكاظم عليه السلام، ولاحقة.

قيل: اسمها (سَكَنُ التُّوبِيَّةِ) أو (سكنى)، وقيل: لقبها شقراء التُّوبِيَّةِ، وقيل: اسمها (أروى)، وقيل: اسمها (سُمان)، وقيل: (الخيزران المُرْسِيَّةِ)، وقيل: (نجمة) لما كانت بكرًا واشترتها (حميدة المصفّاة) أمّ الإمام الكاظم عليه السلام، إذ ذكرت أنّها رأت في المنام رسول الله ﷺ يقول لها: يا حميدة، هَبِي نجمة لابنك موسى، فإنّه سيولد لها خيرٌ أهل الأرض، فوهبتها له، فلما ولدت له الرضا عليه السلام سَمَّاهَا (الطاهرة)^(٢).

وأخيراً: (تَكْتُمُ)، قيل: هو آخر أسمائها، وعليه استقرّ اسمها حين صارت عند أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام، ومن ذلك قول الصوليّ يمدح الإمام عليّ

(١) أوائل المقالات للشيخ المفيد: ص ٢٨٤.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق: ج ١، ص ١٦.

الثانية: وهي الأشهر والأوثق، يرويها هشام بن أحمد فيقول: قال لي أبو الحسن الأوّل - أي الكاظم - عليه السلام: (هل علمت أحداً من أهل المغرب قدّم؟ قلت: لا، قال عليه السلام: بلى، قد قدم رجل من أهل المغرب المدينة، فانطلق بنا، فركب وركبت معه، حتى انتهينا إلى الرجل، فإذا رجلاً من أهل المغرب معه رقيق، فقلت له: إعرض علينا، فعرض علينا سبع جوارٍ، كلّ ذلك يقول أبو الحسن عليه السلام: لا حاجة لي فيها، ثم قال: اعرض علينا، فقال: ما عندي إلاّ جارية مريضة، فقال: ما عليك أن تعرضها؟! فأبى عليه، فانصرف، ثم أرسلني من الغد فقال لي: قل له: كم كان غايتك فيها؟ فإذا قال لك كذا وكذا، فقل له: قد أخذتها، فأتيته فقال: ما كنت أريد أن أنقصها من كذا وكذا، فقلت: قد أخذتها، قال: هي لك، ولكن أخبرني: من الرجل الذي كان معك بالأمس؟ قلت: رجل من بني هاشم، قال: من أيّ بني هاشم؟ فقلت: ما عندي أكثر من هذا، فقال: أخبرك

أني لما اشتريتها من أقصى المغرب فلقيتني امرأة من أهل الكتاب فقالت: ما هذه الوصيفة معك؟ قلت: اشتريتها لنفسي، فقالت: ما ينبغي أن تكون هذه عند مثلك! إن هذه الجارية ينبغي أن تكون عند خير أهل الأرض، فلا تلبث عنده قليلاً حتى تلد غلاماً له لم يولد بشرق الأرض ولا غربها مثله، قال هشام ابن أحمد: فأتيته بها، فلم تلبث عنده إلا قليلاً حتى ولدت له الرضا عليه السلام^(١).

وكان من دلائل إمامة موسى الكاظم عليه السلام أنه لما اشترى (تكتّم) جمع قوماً من أصحابه ثم قال لهم: (والله ما اشتريت هذه الأمة إلا بأمر الله ووحيه)، فسئل عن ذلك، فقال عليه السلام: (بيننا أنا نائم إذ أتاني جدي وأبي ومعهما شقة حرير، فنشراها فإذا قميص وفيه صورة هذه الجارية، فقالا: يا موسى، ليكونن من هذه الجارية خير أهل الأرض بعدك، ثم أمرني إذا ولدته أن أسميه (علياً)، وقالوا لي: إن الله تعالى يظهر به العدل والرأفة، طوبى لمن

(١) الكافي، للشيخ الكليني: ج ١، ص ٤٨٦.

صدّقه، وويل لمن عاداه وجحده وعانده^(١).

خصالها عليها السلام:

أجمع أصحاب السيرة أن (تكتّم) عليها السلام امرأة صالحة عابدة، تتحلّى بأسمى مكارم الأخلاق، وكانت في غاية العفة والأدب، وقد ذكرها الشيخ سليمان القندوزي الحنفي بقوله: (وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها، وإعظامها لمولاتها حميدة، حتّى أنّها ما جلست بين يديها منذ ملكتها؛ إجلالاً لها)^(٢).

ولا بدّ أن تكون هكذا أمّهات الأئمة عليهم السلام، لأنّ الأئمة هم أشرف الخلق، ينحدرون من أصلاب شامخة وأرحام مطهّرة، آبائهم وأمّهاتهم من الموحّدين، لم تدنّسهم الجاهليّة بأنجاسها، ولم تلبّسهم من مدلهّمات ثيابها.

(١) إثبات الوصية للمسعودي: ص ١٩٦.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ج ٣، ص ١٦٦.

كنيته عليه السلام :

أبو الحسن الثاني؛ إذ اشتهر أبوه الإمام الكاظم عليه السلام بأبي الحسن .

ألقابه :

الرضا، والصابر، والرضي، والوفي، وبعد وفاته صار لقبه: الماضي، وأشهرها: الرضا.

وكان يقال له: الصادق، والفاضل، وقرة أعين المؤمنين، وغیظ الملحدین، فعن عبد العظيم الحسني، عن سليمان بن حفص قال: كان موسى بن جعفر عليهما السلام يسمي ولده علياً عليه السلام، الرضا، وكان يقول عليه السلام: (ادعوا لي ولدي: الرضا، وقلت لولدي: الرضا، وقال لي ولدي: الرضا عليه السلام، وإذا خاطبه قال: يا أبا الحسن)، وهو لقب أطلقه عليه جده رسول الله ﷺ كما علمه الله تعالى، فعن البنزطي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليه السلام: إن قوما من مخالفكم يزعمون أن أباك إنما سماه المأمون الرضا لما رضيه لولاية عهده؟

فقال عليه: (كذبوا والله وفجروا، بل الله تبارك وتعالى سماه بالرضا عليه، لأنه كان رضي لله عز وجل في سمائه ورضي لرسوله والأئمة بعده صلوات الله عليهم في أرضه.

قال: فقلت له: ألم يكن كل واحد من آبائك الماضين عليهم السلام رضي لله عز وجل ولرسوله ﷺ والأئمة بعده عليهم السلام؟ فقال: بلى.

فقلت: فلم سمي أبوك عليه من بينهم الرضا؟ قال: لأنه رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه عليهم السلام، فلذلك سمي من بينهم الرضا عليه^(١).

(١) عيون أخبار الرضا عليه للشيخ الصدوق: ج ١، ص ٢٢.

تاريخ ولادته عليه السلام ومكانها:

ولد عليه السلام في المدينة المنورة في الحادي عشر من شهر
ذي القعدة عام ١٤٨ هـ.

المولد المبارك:

عَهِدَ النَّاسُ أَنْ تَبْدَأَ حَيَاةَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْفَضَائِلِ
وَالكِرَامَاتِ، وَتَنْتَهِيَ بِهَا، وَفِيهَا يَخْصُ الْإِشْرَاقَةُ الْقُدْسِيَّةُ
السَّعِيدَةُ لِمَوْلِدِ الْإِمَامِ عَلِيِّ الرَّضَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَدْ
رُويَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ فِي عِدَّةِ مَصَادِرٍ بِطُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ،
وَبمُضَامِينَ مُتَقَارِبَةٍ، نَكْتَفِي هُنَا بِرَوَايَةِ الشَّيْخِ الصَّدُوقِ:
فَعَنِ الشَّيْخِ الصَّدُوقِ، بِسَنَدٍ يَنْتَهِي إِلَى عَلِيِّ بْنِ مِيثَمٍ
عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّيْ تَقُولُ: سَمِعْتُ نَجْمَةَ أُمِّ
الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، تَقُولُ: لَمَّا حَمَلْتُ بِأَبْنِي عَلِيٍّ لَمْ أَشْعُرْ بِثَقَلِ
الْحَمْلِ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ فِي مَنْامِي تَسْبِيحاً وَتَهْلِيلاً وَتَمْجِيداً
مِنْ بَطْنِي، فَيُفْزِعُنِي ذَلِكَ وَيَهْوِلُنِي، فَإِذَا انْتَبَهْتُ لَمْ أَسْمَعْ
شَيْئاً، فَلَمَّا وَضَعْتَهُ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى
الْأَرْضِ، رَافِعاً رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، يَجْرُكُ شَفْتَيْهِ كَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ،
فَدَخَلَ إِلَيَّ أَبُوهُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لِي: (هَنِيئاً

.....تاريخ ولادته عليه السلام ومكانها

لك يا نجمة كرامة ربك)، فناولته إياه في خرقه بيضاء،
فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ودعا بهاء الفرات
فحنكه به، ثم رده إلي فقال: (خُذيه، فإنه بقيّة الله تعالى في
أرضه))^(١).

فبورك مولودٌ وبورك مولدٌ

أبوه عليّ الخير والجدُّ أحمدُ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق: ج ١، ص ٢٩.

إمامة الإمام الرضا عليه السلام :

في معرفة أدلة الإمامة أمامنا ثلاث محطات:

الأولى: التعرف على مفهوم الإمامة.

الثانية: بيان الأدلة العقلية الدالة على ضرورة الإمامة.

الثالثة: بيان الأدلة النقلية التي نصت على الأئمة

الأطهار عليهم السلام، ومنهم: الإمام الرؤوف علي بن موسى الرضا عليه السلام.

وبذلك يفوز المرء بالاطمئنان القلبي والعقلي، والبرهان الوجداني والواقعي بضرورة الإمامة، وتعيينها فيمن اختارهم الله تعالى لها، وفيما يلي بيان لهذه المحطات الثلاث:

المحطة الأولى: ما هي الإمامة؟

هي لطف من الله «تبارك وتعالى» كالنبوة، وهي استمرار لها وخلافة فيما بعدها، ولا تكون الإمامة إلا بالنص من الله جلّ وعلا، فلا اختيار للناس في تعيينها، وهي أصل من أصول الدين، إذ لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، بلا تقليد أعمى.. حيث لا بد من معرفة

براهينها والتثبت عليها على بصيرة وعلم وهداية.
أما الإمام، فهو مَنْ اختاره الله عزّ وجلّ لعباده دليلاً
هادياً للبشر بعد صاحب الرسالة، ومَنْ كُفِّ بهذا لا بدّ
أن يكون معصوماً من الذنوب والعيوب، مطّلعاً بإذن الله
تعالى على عوالم الغيوب، فهو الموقن الكامل والنموذج
التامّ في كلّ شيء، والبالغ أعلى درجات الكمال، والمتحلّي
بالقوّة القدسيّة ليُطمأنّ إلى أفعاله وأقواله؛ إذ هو موفق
ومسدّد من قبل الله تعالى، فيُطاع بعد معرفة أنّه واجب
الطاعة والمودّة.

ولنقف هنا على بيان رائع للإمامة والإمام من خلال
نصّ مبارك لمولانا عليّ بن موسى الرضا عليه السلام حيث
يقول عليه السلام:

- إنّ الإمامة أجلُّ قدرًا وأعظم شأنًا وأعلى مكانًا
وأمنع جانبًا وأبعد غورًا من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو
ينالوها بأرائهم، أو يقيموا إمامًا باختيارهم...
- إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء.

- إِنَّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول ﷺ، ومقام أمير المؤمنين عليه السلام، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام.
- إِنَّ الإمامة أُسُّ الإسلام النامي، وفرعه السامي...
- الإمام يُحَلُّ حلال الله، ويُحَرَّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجّة البالغة.
- الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم، وهي بالأفق بحيث لا تناها الأيدي والأبصار.
- الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى... والمنجى من الردى...
- الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأمّ البرّة بالولد الصغير، ومفزع العباد، في الداهية النّاد^(١).
- الإمام أمين الله في خَلْقِهِ، وَحُجَّتِهِ على عباده،

(١) أي: العظيمة.

.....إمامة الإمام الرضا عليه السلام

وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حُرْمِ الله.
• الإمام المطهَّر من الذنوب، والمُبرِّأ من العيوب،
المخصوص بالعلم، الموسوم بالحِلْم، نظام الدين، وعِزِّ
المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين.
• الإمام واحد دهره، لا يُدانيه أحد، ولا يُعادلُه
عالم، ولا يوجد منه بدل ولا له مِثْلٌ ولا نظير... فَمَنْ
ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟! هيهات
هيهات^(١).

المحطة الثانية: الأدلة العقلية

وتنشطر إلى قسمين:

القسم الأول: يتعلّق بالله عزّ وجلّ، وهو محض الرحمة
والخير، والإمامة لطفٌ أوجبه الله تعالى على نفسه، فلا
يمكن أن يُتصوّر أنّ الله - وهو الرؤوف الرحيم - يخلق
البشر ثمّ يتركهم بلا منذرٍ ولا هاد، أي بلا نبيٍّ ولا إمام
يرشدانهم إلى أسباب السعادة والنجاة، فعن ابن عبّاس
قال: وضع رسول الله ﷺ يده على صدره فقال ﷺ:

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ١٩٨.

(أنا المنذر، ثم أوماً إلى منكب علي عليه السلام وقال ﷺ: أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي)^(١).

قال العلماء: كما تجب صفة العدل لله تعالى.. كذلك تجب له صفة اللطف، وفي معنى قاعدة اللطف قالوا: اللطف الإلهي هو توفير مقتضيات الهداية، ومُقَرَّبَات العباد إلى الطاعة، والمُبْعَدَات لهم عن المعصية، فما كان مقتضياً للهداية والرشاد، ومُبْعِداً عن الآثام والذنوب كان واجباً أن يوفره الله، لئلا يكون للناس حجة، ولينقطع عنهم كلّ عذر، ولتبقى الحجة البالغة لله جلّ وعلا.

والإمامة بالنسبة إلى البشر ضرورة لازمة لهداية الناس والأخذ بأيديهم إلى طاعة الله ومرضاته، فهي إذن داخلية في اللطف الإلهي الواجب، والاختيار الإلهي الحكيم. أمّا القسم الثاني: فيتعلّق بالناس، إذ هم لا غنى لهم عن الإمام والإمامة، بل لا حياة لهم بغيرهما، فعن الإمام

(١) تفسر الرازي لفخر الدين الرازي: ج ١٩، ص ١٤.

جعفر الصادق عليه السلام قال: (ما زالت الأرض إلا والله فيها الحجة، يُعرّف الحلال والحرام، ويدعو الناس إلى سبيل الله)^(١)، وسئل الإمام الصادق عليه السلام يوماً: أتبقى الأرض بغير إمام؟ فقال عليه السلام: (لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لَساخت)^(٢).

إذن فالإمامة ضرورة حياتية لهذا الوجود الكائن، والأئمة عليهم السلام، ومنهم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.. ببركتهم وبفيضهم القدسيّ كان استمرار هذا الوجود. وتتأكد الضرورة العقلية للإمامة إذا علمنا أن الأئمة عليهم السلام - ومن بينهم الإمام الرؤوف علي الرضا عليه السلام: (شهداء الله على خلقه، والهداة إلى الله، وولاة أمر الله، وخزنة علم الله، وأركان الأرض وخلفاء الله فيها، والآيات والعلامات الدالة على الله، وأهل الذّكر، والراسخون في العلم، وورثة الأنبياء، والمحدثون

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ١٧٨.

(٢) المصدر السابق.

شذرات من حياة الإمام الرضا عليه السلام

المُفَهَّمُونَ...^(١).

وهذه الهبات الإلهية الفريدة: هي من جهةٍ ضرورة
لازمة لحياة الناس وخيرهم ونجاتهم، ومن جهةٍ أخرى
دلالات بيّنة على الإمامة التي عيّنتها العناية الإلهية في
أئمة الهدى عليهم السلام.

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ١٧٨.

المحطة الثالثة: الأدلة النقلية

وهي النصوص الشريفة التي أوردت اسم الإمام الرضا عليه السلام بوصفه إماماً ووصياً، باللفظ أو بالمعنى، صريحاً مرةً بالاسم أو الكنية أو اللقب، أو بالمضمون في جملة الأئمة الأطهار من وُلد الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، أو من ولد الإمام الحسين عليه السلام.

النصّ العام:

ويشير إلى أنّ الأئمة الاثني عشر عليهم السلام هم أولياء الله، وأوصياء رسول الله ﷺ، وقد كانوا سبب توبة آدم عليه السلام وموضع توصل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومورد صلواتهم.. إلى غير ذلك مما به يُستوحى إمامتهم، ويُستدلّ به عليها، وهي روايات كثيرة بالسنة مختلفة وطرق متعددة، تورث اليقين بصدورها عن النبي ﷺ، من ذلك:

قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: اسْتَكْمَالِ حَجَّتِي عَلَى الْأَشْقِيَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ تَرَكَ وَايَةَ عَلِيٍّ،

ووالى أعداءه، وأنكر فضله وفضل الأوصياء من بعده،
فإنَّ فضلَكَ فضلهم، وطاعتكَ طاعتهم، وحقَّك حقهم،
ومعصيتك معصيتهم، وهم الأئمة الهداة من بعدك.

جرى فيهم روحك، وروحك جرى فيك من ربك،
وهم عترتك من طينتك ولحمك ودمك، وقد أجرى الله
عزَّ وجلَّ فيهم سننك وسنة الأنبياء قبلك، وهم خزاني
على علمي بعدك، حقُّ عليٍّ لقد اصطفيتهم وانتجبتهم
وأخلصتهم وارتضيتهم، ونجا من أحبهم ووالاهم
وسلم لفضلهم.

ثم قال عليه السلام: ولقد أتاني جبرئيل بأسمائهم وأسماء
آبائهم وأحبائهم، والمسلمين لفضلهم^(١).

النص الخاص:

وهي أضراروايات متعددة بطوائف شتى، منها ما يذكر
أسماء الأئمة عليهم السلام واحدا واحدا، وأشهرها حديث اللوح
الذي ورد فيه أسماء الأئمة الأطهار عليهم السلام ومن بينهم الإمام
الرضا عليه السلام، فعن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام،

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ٢٠٩.

قال: قال أبي [الإمام محمد الباقر] عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري: إن لي إليك حاجة، فمتى يخفّ عليك أن أخلو بك فأسألك عنها، فقال له جابر: في أيّ الأوقات شئت، فخلا به أبو جعفر عليه السلام، قال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يدي أمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وما أخبرتك به أنه في ذلك اللوح مكتوباً، فقال جابر: أشهد بالله أنّي دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله ﷺ أهنئها بولادة الحسين عليه السلام، فرأيت في يدها لوحاً أخضر فظننت أنه من زمرد، ورأيت فيه كتابة بيضاء شبيهة بنور الشمس، فقلت لها: بأبي أنتِ وأمّي يا بنت رسول الله ﷺ، ما هذا اللوح؟ فقالت عليها السلام: هذا اللوح أهداه الله عزّ وجلّ إلى رسوله ﷺ، فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني وأسماء الأوصياء من ولدي، فأعطانيه أبي ليسرّني بذلك.

قال جابر: فأعطتني أمك فاطمة عليها السلام فقرأتها وانتسخته، فقال له أبي [الباقر] عليه السلام: فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ؟ فقال: نعم، فمشى معه أبي عليه السلام حتى

انتهى إلى منزل جابر، فأخرج إلى أبي صحيفة من رق، فقال: يا جابر انظر أنت في كتابك لأقرأه عليك، فنظر جابر في نسخه فقرأه عليه أبي عليه السلام، فوالله ما خالف حرفاً حرفاً، قال جابر: فإني أشهد بالله أنني هكذا رأيته في اللوح مكتوباً:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من الله العزيز الحكيم، لمحمد نوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين، من عند رب العالمين: عظم يا محمد أسمائي، واشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي، إني أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارين، [ومبير المتكبرين]، ومذلّ الظالمين، وديان يوم الدين، إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي، أو خاف غير عدلي، عذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين، فإياي فاعبد، وعليّ توكل، إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه، وانقضت مدّته، إلا جعلت له وصياً، وإني فضلتك على الأنبياء، وفضلت وصيك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك بعده، وبسبطيك الحسن والحسين، وجعلت حسناً معدن علمي بعد

انقضاء مدّة أبيه، وجعلت حسيناً خازن وحيي، وأكرّمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه، والحجة البالغة عنده، بعترته أئيب وأعاقب: أولهم عليّ سيّد العابدين، وزين أوليائيّ الماضين، وابنه سمّي جدّه المحمود [وفي نسخة: شبيه جدّه المحمود]، محمّد الباقر لعلمي، والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في جعفر، الرادّ عليه كالرادّ عليّ، حقّ القول منّي لأكرمنّ مثوى جعفر، ولأسرّنه في أوليائه وأشياعه وأنصاره، انتجبت بعده موسى وانتجبت بعده فتنة عمياء حندس، لأنّ خيط فرضي [وفي نسخة: وصيّ] لا ينقطع، وحبّتي لا تخفي، وأنّ أوليائي لا يشقّون أبداً، ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي، ومن غير آية من كتابي فقد افتري عليّ، وويل للمفتريين الجاحدين عند انقضاء مدّة عبدي موسى، وحبّبي وخيرتي! ألا إنّ المكذب بالثامن مكذب بكلّ أوليائي، وعلي وليي وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوة، وأمتحنه بالاضطلاع،

انقضاء مدة أبيه، وجعلت حسيناً خازن وحيي، وأكرمته
 بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد
 وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه،
 والحجة البالغة عنده، بعترته أئيب وأعاقب: أولهم عليّ
 سيّد العابدين، وزين أوليائيّ الماضين، وابنه سميّ جدّه
 المحمود [وفي نسخة: شبيه جدّه المحمود]، محمّد الباقر
 لعلمي، والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في جعفر،
 الرادُّ عليه كالرادِّ عليّ، حقّ القول منّي لأكرم من مثوى
 جعفر، ولأسرّنه في أوليائه وأشياعه وأنصاره، انتجبت
 بعده موسى وانتجبت بعده فتنة عمياء حندس، لأنّ
 خيط فرضي [وفي نسخة: وصيّي] لا ينقطع، وحبّتي
 لا تخفى، وأنّ أوليائي لا يشقون أبداً، ألا ومن جحد
 واحداً منهم فقد جحد نعمتي، ومن غير آية من كتابي
 فقد افتري عليّ، وويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء
 مدة عبدي موسى، وحببي وخيرتي! ألا إنّ المكذب
 بالثامن مكذب بكلّ أوليائي، وعلي وليّ وناصري،
 ومن أضع عليه أعباء النبوة، وأمتحنه بالاضطلاع،

يقتله عفريت مستكبر، يُدفن بالمدينة التي بناها العبد
الصالح ذو القرنين إلى جنب شرّ خلقي، حقّ القول منّي
لأقرنّ عينه بمحمّد ابنه، وخليفته من بعده، فهو وارث
علمي، ومعدن حكمتي، وموضع سرّي، وحبّتي على
خلقي، جعلت الجنة مثواه، وشقّعتة في سبعين من أهل
بيته كلّهم قد استوجبوا النار، وأختم بالسعادة لابنه عليّ
وليّي وناصري، والشاهد في خلقي، وأميني على وحيي،
أخرج منه الداعي إلى سبيلي، والخازن لعلمي، الحسن، ثمّ
أكمل ذلك بابنه رحمة للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء
عيسى وصبر أيّوب، ستدلّ أوليائي في زمانه، ويُتهادون
رؤوسهم كما تُهادى رؤوس الترك والديلم، فيقتلون
ويُحرقون، ويكونون خائفين مرعوبين وجِلين، تُصبغ
الأرض من دمائهم، ويفشو الويل والرنين في نسائهم،
أولئك أوليائي حقّاً، بهم أَدفع كلّ فتنة عمياء حندس،
وبهم أكشف الزلازل، وأرفع عنهم الآصار والأغلال،
أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة، وأولئك هم
المهتدون.

قال عبد الرحمن بن سالم قال أبو بصير: لو لم تسمع في
دهرك إلا هذا الحديث لكفأك، فصّنه إلا عن أهله^(١).

وعن الجارود بن المنذر - في حديث طويل - أنه: قدم
على النبي ﷺ مع جماعة (.. إلى أن قال: ثم قلت: يا رسول
الله ﷺ أنبئني - أنبأك الله - بخبر عن هذه الأسماء التي
لم نشهدها، وأشهدنا قسّ ذكرها، فقال رسول الله ﷺ:
(يا جارود ليلة أسري بي إلى السماء أوحى الله عزّ وجلّ
إليّ أن: سلّ من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بُعثوا،
فقلت: على ما بُعثتم؟ فقالوا: على نبوتك، وولاية عليّ بن
أبي طالب، والأئمة منكما، ثم أوحى إليّ أن التفت عن
يمين العرش، فالتفت فإذا عليّ والحسن والحسين، وعليّ
بن الحسين، ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، وموسى
بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمّد بن عليّ، وعليّ بن
محمّد، والحسن بن عليّ، والمهديّ، في ضحضاح من نورٍ
يصلّون، فقال لي الربُّ تعالى: هؤلاء الحجج أوليائي،
وهذا المنتقم من أعدائي)، قال الجارود: فقال لي سلمان: يا

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص ٣١١.

جارود! هؤلاء المذكورون في التوراة والإنجيل والزبور،
فانصرفت بقومي وأنا أقول :

أتيتك يا بن آمنة الرسولا

لكي بك أهتدي النهج السبيلا^(١).

وقال الإمام الكاظم عليه السلام أيضاً: (علي سيّد
ولدي...)^(٢).

وعن علي بن عبد الله الهاشمي قال: كنا عند القبر
نحو ستين رجلا منا ومن موالينا إذ اقبل أبو إبراهيم
موسى جعفر عليه السلام، ويد على ابنه عليه السلام في يده فقال عليه السلام:
(تدرون من انا) قلنا: أنت سيدنا وكبيرنا فقال عليه السلام:
(سموني وانسبوني فقلنا: أنت موسى بن جعفر بن محمد
فقال: من هذا معي؟ قلنا: هو علي بن موسى بن جعفر
قال: فاشهدوا أنه وكيلى في حياتي ووصيى بعد موتي)^(٣).

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ١٥، ص ٢٤٧.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ٣١١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق: ج ١، ص ٣٦.

أحاديث الإمام الرضا عليه السلام :

حديث السلسلة الذهبية :

إنّ مدينة نيسابور كانت تحظى بنزعة حضاريّة، وتطلّع علميّي، وتتبع للمعارف ولآثار الرسالة الإسلاميّة، حتّى إنّ سبط ابن الجوزيّي - حينما ذكر دخول الإمام الرضا عليه السلام إلى هذه المدينة - قال:

فلما وصل إلى نيسابور خرج إليه علماءؤها، مثل: يحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، ومحمّد بن رافع، وأحمد بن حرب، وغيرهم لطلب الحديث والرواية، والتبرّك به فأقام بنيسابور مدّةً، والمأمونُ بمرور، ثمّ استدعاه وولاه العهد^(١).

وهكذا تكون هذه المدينة في ذلك الظرف التاريخيّي قد عاشت أجواء علميّة، فتشرّفت بمقدم الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عليها وحظيت ببركاته.

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوريّي: لمّا دخل الرضا عليه السلام

(١) تذكرة خواصّ الأئمة لسبط ابن الجوزي: ص ١٩٨.

..... أحاديث الإمام الرضا عليه السلام.

نيسابور، ونزل محلة «فور» في دار تُعرف بدار «پسنديده» أي المرتضى - وإنما سُميت پسنديده لأن الرضا ارتضاه من بين الناس-، فلما نزلها زرع في جانب من جوانب الدار لوزة، فنبتت وصارت شجرة فأثمرت في كل سنة، وكان أصحاب العلل يستشفون بلوز هذه الشجرة، وعوفي صاحب قولنج وأعمى وغير ذلك»^(١).

وقد روى الصدوق في أماليه.. عن إسحاق بن

إبراهيم بن مخلد الحنظلي المعروف بـ ابن راهويه، قال:

لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن

يرحل منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث

فقالوا: يا بن رسول الله ﷺ، ترحل عنا ولا تحدّثنا

بحديث فنستفيدة منك! - وقد كان قعد في العمارة -

فأطلع رأسه وقال: (سمعتُ أبي موسى بن جعفر يقول:

سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن

علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي

الحسين بن علي يقول: سمعت أبي امير المؤمنين علي بن

(١) مسند الإمام الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٥٧. عن تاريخ نيسابور للحاكم النيسابوري.

أبي طالب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت
جبرئيل يقول: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله
حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي. فلما مرت
الراحلة نادانا: بشروطها، وأنا من شروطها^(١).

لماذا سلسلة الذهب؟

قد عُرف هذا الحديث الشريف بـ (حديث
سلسلة الذهب)، لأن جميع رواة سنده هم من الأئمة
المعصومين عليهم السلام الذين ينتهون إلى رسول الله ﷺ، فلذا
يُطلق على السند بـ (السلسلة الذهبية).

قال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي: لو
قرئ هذا الاسناد على مجنون لأفاق^(٢).

إشارة إلى مضمون رفيع:

في ذيل الحديث الشريف إشارة طريفة إلى ترابط
العقيدة الإسلامية في أصولها، حيث لا توحيد بدون
الإقرار بالنبوة، ولا توحيد ولا نبوة في الاعتقاد حتى

(١) الأملالي للشيخ الصدوق: ص ١٩٥.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ١٠، ص ٣٦٧.

.....أحاديث الإمام الرضا عليه السلام.

يكون الإقرار بالإمامة، كما لا اعتقاد بالمعاد لمن لا يقترّ بالتوحيد والعدل والنبوة والإمامة.

وعلق الشيخ الصدوق على حديث سلسلة الذهب، والذي جاء في آخره قول الإمام الرضا عليه السلام: (بشروطها، وأنا من شروطها)، قائلاً: من شروطها «أي لا إله إلا الله» الإقرار بالرضا عليه السلام بأنه إمام من قبل الله عز وجل على العباد، مفترض الطاعة عليهم^(١).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق: ج ٢، ص ١٥٣.

أحاديثه عليه السلام، العقائدية:

١. قال عليه السلام: (ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنما العبادة كثرة التفكير في أمر الله) (١).

٢. وسئل عليه السلام، عن حدّ التوكّل فقال عليه السلام: (أن لا تخاف أحداً إلا الله) (٢).

٣. وقال عليه السلام: (الإيمان أربعة أركان: التوكّل على الله، والرضى بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله) (٣).

٤. وقال عليه السلام: (لا تدعوا حبّ آل محمّد عليه السلام والتسليم لأمرهم اتكالا على العبادة، فإنه لا يقبل أحدهما دون الآخر) (٤).

٥. عن داود بن القاسم، قال: سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام، يقول (من شبّه الله بخلقه فهو مشرك، ومن

(١) تحف العقول لابن شعبة البحراني: ص ٣٣٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٢٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الدرّة الباهرة للشهيد الأوّل: ص ٣٧.

نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١)(٢).

٦. قال له رجل: إن الله تعالى فوّض إلى العباد أفعالهم؟ فقال عليه السلام: هم أضعف من ذلك وأقلّ، قال: فجبرهم؟ قال عليه السلام: هو أعدل من ذلك وأجلّ، قال: فكيف تقول؟ قال: نقول إن الله أمرهم ونهاهم، وأقدرهم على ما أمرهم به ونهاهم عنه (٣).

٧. وسأله الفضل بن الحسن بن سهل: الخلق مجبورون؟ فقال عليه السلام: (الله أعدل من أن يُجبرَ ويعذب، قال: فمطلقون؟ قال عليه السلام: الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه) (٤).

٨. وقال له المأمون يوماً: أخبرني عن أكبر فضيلة لأمر

(١) سورة النحل: آية ١٠٥.

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٦٩.

(٣) نزهة الناظر وتنبية الخاطر للحلواني: ص ١٣٢.

(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٥، ص ٣٥٤.

المؤمنين يدلّ عليها القرآن، فأجابه عليه السلام قائلاً: فضيلة في المباهلة، قال الله جل جلاله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ...﴾^(١)، فدعا رسول الله ﷺ الحسن والحسين عليهما فكانا ابنيه، ودعا فاطمة عليها فكانت في هذا الموضع نساءه، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله عز وجل، فثبت أنّه ليس أحدٌ من خلق الله تعالى أجلّ من رسول الله ﷺ وأفضل، فواجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله ﷺ بحكم الله عز وجل^(٢).

٩. وسأله محمد بن الفضيل، قال: تكون الأرض ولا إمامَ فيها؟ فأجابه عليه السلام بالقول: (لا، إذا لساخت بأهلها)^(٣).

١٠. وسأله صفوان عن قول الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: (أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَبَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي..) ^(٤)، أكان في

(١) سورة آل عمران: آية ٦١.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٤٩، ص ١٨٨.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق: ج ١، ص ٢٤٦.

(٤) سورة البقرة: آية ٢٦٠.

.....أحاديثه عليه السلام، العقائدية

قلبه شكّ؟ فأجابه عليه السلام: (لا، ولكنّه أراد من الله الزيادة في يقينه)^(١).

١١. وقال عليه السلام: (أحسِنِ الظَّنَّ بِاللَّهِ، فَإِنَّ مَنْ حَسَنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ كَانَ اللَّهُ عِنْدَ ظَنِّهِ)^(٢).

١٢. وقال عليه السلام: (الْأُمَّةُ خُلَفَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْضِهِ)^(٣).

(١) المحاسن أحمد بن خالد البرقي: ج ١، ص ٢٤٧.

(٢) تحف العقول: ص ٤٤٩.

(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج ٥، ص ١٤٧.

أحاديثه عليه السلام، الأخلاقية والاجتماعية:

١. قال عليه السلام: (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنة من ربه، وسنة من نبيه، وسنة من وليه، فأما السنة من ربه فكتان سره، قال الله جل جلاله: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ...﴾^(١)، وأما السنة من نبيه فمداراة الناس، فإن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ بمداراة الناس، فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢)، وأما السنة من وليه فالصبر في البأساء والضراء، يقول الله عز وجل: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٣)^(٤).

٢. وقال عليه السلام: (الأخ الأكبر بمنزلة الأب)^(٥).

(١) سورة الجن: آية ٢٦ و ٢٧.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٩٩.

(٣) سورة البقرة: آية ١٧٧.

(٤) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٤٠٨.

(٥) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ٢٠، ص ٢٨٣.

٣. وقال عليه السلام: (التوّدّد إلى الناس نصف العقل) (١).
٤. وقال عليه السلام: (إذا ذكرتَ الرجل وهو حاضر فكُنّه،
وإذا كان غائباً فسَمّه) (٢).

٥. وسُئِلَ عليه السلام عن السفلة فقال: (مَنْ كان له شيء
يلهيه عن الله) (٣).

٦. وقال عليه السلام: (العُجْبُ درجات، منها: أن يُزَيَّن
للعبد سوءُ عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب أنه يُحسن
صُنْعاً، ومنها: أن يُؤْمِنَ العبد بربّه فيؤمن على الله، والله المنّة
عليه فيه) (٤).

٧. وقال عليه السلام: (وسُئِلَ عليه السلام عن خيار العباد، فقال:
الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أسأؤوا استغفروا، وإذا
أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا عفوا) (٥).

٨. وقال عليه السلام: (السخيُّ يأكل من طعام الناس
ليأكلوا من طعامه، والبخيل لا يأكل من طعام الناس لئلا

(١) تحف العقول لابن شعبه الحراني: ص ٤٤٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الوافي للفيض الكاشاني: ج ٢٦، ص ٢٨٢.

(٤) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٣١٣.

(٥) فقه الرضا عليه السلام، علي ابن بابويه القمي: ص ٣٥٤.

يأكلوا من طعامه)^(١).

٩. وقال عليه السلام: (ليس لبخيل راحة، ولا لحسود لذة،

ولا لملول وفاء، ولا لكذوب مروّة)^(٢).

١٠. وقال عليه السلام: (أكثرُوا من الصلاة على مُحَمَّدٍ

وآله عليه السلام، والدعاء للمؤمنين والمؤمنات في آناء الليل

والنهار؛ فإنّ الصلاة على مُحَمَّدٍ وآله أفضل أعمال البرّ،

واحرصوا على قضاء حوائج المؤمنين وإدخال السرور

عليهم ودفع المكروه عنهم، فإنه ليس شيء من الأعمال

عند الله عزّ وجلّ بعد الفرائض أفضل من إدخال السرور

على المؤمن)^(٣).

١١. وقال عليه السلام: (مَنْ رضي بالقليل من الرزق قبل

منه اليسير من العمل)^(٤).

١٢. وقال عليه السلام: (... ولو أخرج الناس زكاة أموالهم

ما احتاج أحد)^(٥).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق: ج ٢، ص ١٥.

(٢) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص ٤٥٠.

(٣) فقه الرضا عليه السلام، علي ابن بابويه القمي: ص ٣٣٩.

(٤) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٥، ص ٢٢٩.

(٥) الكافي للشيخ الكليني: ج ٣، ص ٥٠٧.

١٣. وقال عليه السلام: (صاحب النعمة يجب أن يوسع على عياله) (١).

١٤. وقال عليه السلام: (إن الله يبغض القيل والقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال) (٢).

١٥. وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال عليه السلام: (أصبحتُ بأجلٍ منقوص، وعملٍ محفوظ، والموتُ في رقابنا، والنار من ورائنا، ولا ندري ما يُفعل بنا) (٣).

١٦. وقال عليه السلام: (لا يستكمل عبدٌ حقيقة الإيمان حتى تكون فيه خصالٌ ثلاث: التفقه في الدين، وحُسن التقدير في المعيشة، والصبر على الرزايا) (٤).

١٧. وقال عليه السلام: (المستتر بالحسنة يعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بالسيئة مغفورٌ له) (٥).

(١) تحف العقول لابن شعبة الحرّائي: ص ٤٤٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٤٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٤٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٢٤.

(٥) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٤٢٨.

مجاوراته ومناظراته عليه السلام :

النهج الإلهي الصافي الذي حمّله الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ضماناً للإنسان في مصادر معرفته، وفي أسلوب حياته، وفي همومه وتطلّعاته نحو المستقبل، وهو الذي بشر به رسول الله ﷺ، وتولّى حمايته وتركيز وجوده أوصياؤه الأئمة من أهل بيته الأبرار عليهم السلام فكان الخلاصة الإلهية والصفوة الربانية الأخيرة التي تكشف للإنسانية معالم الطريق، وتضيء جنبات السبيل، وتُنقذ من الالتفات ذات اليمين وذات الشمال.. ليبقى الصراط - أمام الناس - مستقيماً لاجباً مأموناً متفرّداً عن السبل الأخرى الضالّة المضلّة التي تسوق سالكيها نحو صحراء الظلام.

والتراث العظيم الذي تركه أهل البيت عليهم السلام ينايع غنية تدلّنا على أساليب العمل المنتج، وعلى مناهج الحوار العقائدي والمعرفي، وعلى سبل التعامل مع الآخرين، وهو تراث قيمّ نفيس، يحمل من القداسة والبصيرة والعمق والصدق و«البساطة» في الوقت نفسه.. ما

يذكرنا بمناهج الأنبياء عليهم السلام، ويعرفنا على أساليب الصديقين الحاملين لهموم الرسالة، المشفقين على الناس من عوامل الزيغ ودواعي الالتباس.

وتشهد الكتب المؤلفة في الاحتجاج (المحاورة) والأحاديث الجمّة التي جاءت في هذا السياق.. على مدى الجهد الضخم الذي بذله أئمة الهدى عليهم السلام في سبيل التعليم والتذكير والإنقاذ، وفي سبيل الكشف عن زيف الاتجاهات الأخرى الضالّة والتحذير من مزقتها القاتلة. وكان العصر الذي عاش فيه الإمام الهمام شمس الهداية الساطعة أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا عليهم السلام عصرًا يضيح بحركة تلك التيارات والمدارس والاتجاهات التي تلبس الحقّ بالباطل والتي أحدثت في حياة المسلمين فوضى في العمل وفوضى في الأفكار.. فكان أن انبرى عليه السلام ليوضح منهج جدّه الرسول ﷺ، وليرفع الصوت القرآني الذي كادت تطمسه مُنازعات الأهواء، وليدلّ الناس - وهو الأهم - على المنبع الصافي النقي الذي ينبغي

شذرات من حياة الإمام الرضا عليه السلام ..
أن يستمدّوا منه، فكان لا يفتأ يحدث بالإمامة الإلهية التي
تعصم الناس من الفرقة والاختلاف وتجعلهم أسوياء
على صراط مستقيم.

وقد حفظت المصادر التاريخية والحديثية مشاهد كثيرة
من محاورات الإمام الرضا عليه السلام ومناظراته وإجاباته
ومواقفه إزاء التيارات الفكرية والعقائدية والفقهية
المتضاربة.. فكان دائماً ينطق بكلمة الفصل ويجهر بقول
الحق.

وفي هذا الأفق نتعرّف على جانب من تلكم المحاورات
القيّمة: نتعلّم منها منهج الحوار، كما نعرف مضامينها
الإسلامية الأصيلة، لتتعرّف - من خلالها - على جانب
من التيارات التي كانت سائدة في عصر الإمام عليه السلام.

حوار في آفاق عقائدية :

عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ﷺ ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث: إن المؤمنين يزورون ربهم من منازلهم في الجنة؟

فقال عليه السلام: (يا أبا الصلت إن الله تبارك وتعالى فضّل نبيه محمداً ﷺ على جميع خلقه من النبيين والملائكة، وجعل طاعته طاعته، ومبايعته مبايعته، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته، فقال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١)، وقال عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)^(٢)، وقال النبي ﷺ: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله، ودرجة النبي ﷺ في الجنة أرفع الدرجات، فمن زاره في درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى)، قال: قلت: يا ابن رسول الله ﷺ

(١) سورة النساء: آية ٨٠.

(٢) سورة الفتح: آية ١٠.

فما معنى الخبر الذي رواه: أنّ ثواب لا إله إلا الله، النظر إلى وجه الله؟ فقال عليه السلام: (يا أبا الصّلت فمن وصف الله بوجهه كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله انبياؤه ورسله وحججه صلوات الله عليهم أجمعين، هم الذين بهم يُتوجه إلى الله عزّ وجلّ وإلى دينه ومعرفته، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١)، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢)، فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة، وقد قال النبي ﷺ: مَنْ أَبْغَضَ أَهْلَ بَيْتِي وَعَظَّرْتَنِي لَمْ يَرْنِي وَ لَمْ أَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وقال ﷺ: إِنْ فِيكُمْ مَنْ لَا يَرَانِي بَعْدَ أَنْ يَفَارِقَنِي، يَا أَبَا الصَّلْتِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُوَصِّفُ بِمَكَانٍ، وَلَا يُدْرِكُ بِالْأَبْصَارِ وَالْأَوْهَامِ).

قال: قلت له: يا ابن رسول الله ﷺ فأخبرني عن

الجنة والنار، أهما اليوم مخلوقتان؟

(١) سورة الرحمن: آية ٢٦ و ٢٧ .

(٢) سورة القصص: آية ٨٨ .

فقال **عيسى**: (نعم، وإنّ رسول الله **ﷺ** قد دخل الجنة، ورأى النار لما أُعرج به إلى السماء).

قال: فقلت له: إنّ قوماً يقولون: إنّها اليوم مقدرتان غير مخلوقتين.

فقال **عيسى**: (ما أولئك منّا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي **ﷺ** وكذبنا، وليس من ولايتنا على شيء، ويخلد في نار جهنّم، قال الله عزّ وجلّ: (هذه جهنّم التي يُكذّب بها المجرّمون* يطوفون بيّنها وبين حميمٍ آن **﴿١﴾**(٢)).

(١) سورة الرحمن: آية ٤٣ و ٤٤.

(٢) الاحتجاج للشيخ الطبرسي: ج ٢، ص ١٩٠.

دفاعه عليه السلام عن التوحيد:

عن القاسم بن أيوب العلوي أن المأمون لما أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام على هذا الأمر جمع بني هاشم فقال: إني أريد أن استعمل الرضا عليه السلام على هذا الأمر من بعدي، فحسده بنو هاشم وقالوا: أتوئي رجلاً جاهلاً ليس له بصيرة بتدبير الخلافة؟ فابعث إليه يأتنا فترى من جهله ما تستدل به فبعث إليه فأتاه فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن إصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبد الله عليه، فصعد عليه السلام المنبر فقعده ملياً لا يتكلم مطرقاً، ثم انتفض انتفاضةً فاستوى قائماً وحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على نبيه وأهل بيته ثم قال:

أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيده نفى الصفات عنه، لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث

بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث، فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إياه وحّد من اكتنّهه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا به صدّق من نهّاه، ولا صمد صمده من أشار إليه، ولا إياه عنى من شبّهه، ولا له تدلّل من بعّضه، ولا إياه أراد من توهمه، كلّ معروف بنفسه مصنوع، وكلّ قائم في سواه معلول، بصنع الله يُستدلّ عليه، وبالعقول يُعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجّته، خلق الله الخلق حجاب بينه وبينهم، ومفارقتة إياهم مباينة بينه وبينهم، وابتدأؤه إياهم دليل على أن لا ابتداء له، لعجز كلّ مبتدئٍ عن ابتداء غيره، وأدوه إياهم دليل على أن لا أداة فيه، لشهادة الأدوات بفاقة المؤدّين.

فأسماؤه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفریق بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه، فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعدّاه من استمثله، وقد أخطأه من اكتنّهه، ومن قال: «كيف» فقد شبّهه، ومن قال: «لم» فقد علّله، ومن قال: «متى» فقد وقّته، ومن قال: «فيم» فقد

ضمّنه، ومن قال: «إلى م» فقد نهاه، ومن قال: «حتى م» فقد غيّاه، ومن غيّاه فقد غاياه، ومن غاياه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد وصفه، ومن وصفه فقد ألد فيه، ولا يتغيّر الله بتغيّر المخلوقين، كما لا يتحدّد بتحديد المحدود.

أحدٌ لا بتأويل عددٍ، ظاهرٌ لا بتأويل المباشرة، متجلٌّ لا باستهلال رؤية، باطنٌ لا بمزايلةٍ، مباينٌ لا بمسافةٍ، قريبٌ لا بمداناةٍ، لطيفٌ لا بتجسّم، موجود لا بعددٍ، فاعلٌ لا باضطرارٍ، مقدّر لا بحول فكرة، مدبّر لا بحركةٍ، مريدٌ لا بهامةٍ، شاء لا بهمةٍ، مدركٌ لا بحاسّةٍ، سميعٌ لا بألّةٍ، بصيرٌ لا بأداةٍ، لا تصحبه الأوقات، ولا تضمّنه الأماكن، ولا تأخذه السّنات، ولا تحدّه الصفات، ولا تقيده الأدوات.

سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عُرِف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عُرِف أن لا جوهر له، وبمضادّته بين الأشياء عُرِف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأمور عُرِف أن لا قرين له.

ضادَّ النور بالظلمة، والجلالية بالبهمة، والجسو بالبلل، والصرد بالحرور، مؤلَّف بين متعادياتها، مفرَّق بين متدانياتها، دالَّة بتفريقها على مفرِّقها، وبتأليفها على مؤلِّفها، ذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١)، ففرَّق بين كلِّ قبل وبعد، ليُعلم أن لا قبل له ولا بعد.

شاهدة بغرائزها: أن لا غريزة لمغرزها، دالَّة بتفاوتها: أن لا تفاوت لمفاوتها، مخبرة بتوقيتها: أن لا وقت لموقتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيرها، له معنى الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة حدِّ الإلهية إذ لا مألوة، ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السَّمع ولا مسموع.

ليس منذ خَلَق استحقَّ معنى الخالق ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئية، كيف ولا تغيَّبه: «مذ» ولا تدنيه: «قد» ولا تحجبه: «لعلَّ» ولا توقَّته: «متى» ولا تشمله: «حين» ولا تقارنه: «مع»، إنَّما تحدَّ الأدوات

(١) سورة الذاريات: آية ٤٩.

أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها، وفي الأشياء يوجد فعالها، منعها «منذ» القدمة، وحمتها «قد» الأزلية، وجنبتها «لولا» التكملة .

افترقت فدلّت على مُفرّقتها، وتباينت فأعربت عن مُباينها، بها تجلّى صانعها للعقول وبها احتجب عن الرّؤية، وإليها تحاكم الأوهام، وفيها أثبت غيره، ومنها أنيط الدليل، وبها عرف الإقرار، وبالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالإقرار يكمل الإيمان به .

لا ديانة إلا بعد معرفته، ولا معرفة إلا بالإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا نفي مع إثبات الصفات للتشبيه، وكلّ ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع في صانعه .

ولا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، أو يعود فيه ما هو ابتداه؟! إذا لتفاوتت ذاته، ولتجزّى كنهه، ولا تمتنع من الأزل معناه، ولما كان للباري معنى غير المبروء، ولو وُجد له وراء وجد له أمام،

دفاعه عليه السلام، عن التوحيد

ولا التمس له التمام إذ لزمه النقصان، كيف يستحقّ الأزل
من لا يمتنع من الحدث؟! أم كيف ينشئ الأشياء من لا
يمتنع من الإنشاء؟! إذاً لقامت عليه آية المصنوع، ولتحوّل
دليلاً بعد ما كان مدلولاً عليه، ليس في محالّ القول حجة،
ولا في المسألة عنه جواب، ولا في معناه لله تعظيم، ولا في
إبانتة عن الحقّ ضميم إلا بامتناع الأزلي أن يثنى، ولما لا بدأ
له أن يبدئ لا إله إلا الله العليّ العظيم، كذب العادلون
بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراً مبيناً، وصلّى
الله على محمّد وآله الطاهرين^(١).

(١) التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٣٤.

القول الفصل بين «العترة» و«الآل» و«الأمة»

علي بن شعبة مرسلًا قال: لما حضر علي بن موسى عليه السلام مجلس المأمون وقد اجتمع فيه جماعة علماء أهل العراق وخراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾^(١)، فقالت العلماء: أراد الله الأمة كلها، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكن أقول: (أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة عليه السلام)، قال المأمون: وكيف عنى العترة دون الأمة؟

فقال الرضا عليه السلام: (لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة، لقول الله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٢))، ثم جعلهم في الجنة، فقال عز وجل: ﴿جَنَّاتُ

(١) سورة فاطر: آية ٣٢.

(٢) سورة فاطر: آية ٣٢.

.....القول الفصل بين العترة والآل والأمة

عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴿١﴾، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا
غيرهم، ثم قال الرضا عليه السلام: هم الذين وصفهم الله في
كتابه فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿٢﴾، وهم الذين قال رسول
الله ﷺ: (إِنِّي مَخْلَفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كتاب الله وعترتي
أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، انظروا
كيف تخلفوني فيهما، يا أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم
منكم) ﴿٣﴾.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة، هم
الآل أو غير الآل؟ فقال الرضا عليه السلام: (هم الآل).
فقالت العلماء: فهذا رسول الله يُؤثر عنه أنه قال:
«أمتي آلي»، وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفيض
الذي لا يمكن دفعه: «آل محمد أمته».
فقال الرضا عليه السلام: (أخبروني هل تحرم الصدقة على

(١) سورة الرعد: آية ٢٣.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٣٣.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ٢٧، ص ١٨٩.

آل محمد؟) قالوا: نعم.

قال عليه السلام: (فتحرم على الأمة؟) قالوا: لا.

قال عليه السلام: (هذا فرق بين الآل وبين الأمة. ويحكم أين يذهب بكم؟! أصرفتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون؟ أما علمتم أننا وقعت الرواية في الظاهر على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟!)

قالوا: من أين قلت يا أبا الحسن؟

قال عليه السلام: (من قول الله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(١)، فصارت وراثه النبوة والكتاب في المهتدين دون الفاسقين.

أما علمتم أن نوحاً سأل ربه، وقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾^(٢)؟!، وذلك أن الله وعده أن يُنجيه وأهله، فقال له ربه تبارك وتعالى: ﴿...إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

(١) سورة الحديد: آية ٢٦.

(٢) سورة هود: آية ٤٥.

.....القول الفصل بين العترة والآل والأمة

إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١﴾، فقال المأمون:

فهل فضل الله العترة على سائر الناس؟

فقال الرضا عليه السلام: (إنَّ الله العزيز الجبار فضل العترة

على سائر النَّاسِ في محكم كتابه).

قال المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟ فقال

الرضا عليه السلام: (في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا

وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ

بَعْضٍ﴾^(٢)، وقال في موضع آخر: ﴿أُمِّ يُحْسُدُونَ النَّاسَ

عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٣)، ثم ردَّ المخاطبة في أثر

هذا إلى سائر المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا

اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤)، يعني الذين

أورثهم الكتاب والحكمة وحُسدوا عليهما بقوله: ﴿أُمِّ

يُحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ

(١) سورة هود: آية ٤٦.

(٢) سورة آل عمران: آية ٣٣ و٣٤.

(٣) سورة النساء: آية ٥٤.

(٤) سورة النساء: آية ٥٩.

إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿١﴾،
يعني الطّاعة للمصطفين الطّاهرين، والملك هاهنا الطّاعة
لهم.

قالت العلماء: هل فسّر الله تعالى الاصطفاء في
الكتاب؟ فقال الرّضا عليه السلام: (فسّر الاصطفاء في الظاهر
سوى الباطن في اثني عشر موضعاً:

فأول ذلك قول الله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢)
- ورهطك المخلصين هكذا في قراءة أبي بن كعب وهي
ثابتة في مصحف عبدالله بن مسعود، فلما أمر عثمان زيد
بن ثابت أن يجمع القرآن خنس هذه الآية، وهذه منزلة
رفيعة وفضل عظيم وشرف عالٍ حين عنى الله عزّ وجلّ
بذلك الآل فهذه واحدة.

والآية الثانية في الاصطفاء قول الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣)

(١) سورة النساء: آية ٥٤ .

(٢) سورة الشعراء: آية ٢١٤ .

(٣) سورة الأحزاب: آية ٣٣ .

.....القول الفصل بين العترة والآل والأمة

وهذا الفضل الذي لا يجحده معاندٌ، لأنّه فضل بين.

والآية الثالثة حين ميّز الله الطاهرين من خلقه أمر
نبيّه في آية الابتهاال، فقال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ
فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١)، فأبرز النبي ﷺ عليّاً
والحسين وفاطمة عليهم السلام فقرن أنفسهم بنفسه، فهل تدرون
ما معنى قوله: وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ؟

قالت العلماء: عنى به نفسه.

قال أبو الحسن عليه السلام: (غلطتم، إنّما عنى به عليّاً عليه السلام،
ومّا يدلّ على ذلك قول النبي ﷺ حين قال: (لينتهينّ بنو
وليعة أو لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسى)^(٢)، يعنى: عليّاً عليه السلام،
فهذه خصوصيّة لا يتقدّمها أحد، وفضل لا يختلف فيه
بشر، وشرف لا يسبقه إليه خلق، إذ جعل نفس عليّ عليه السلام
كنفسه، فهذه الثالثة.

وأما الرابعة: فأخراجه الناس من مسجده ما خلا

(١) سورة آل عمران: آية ٦١.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق: ص ٥٥٥.

العترة حين تكلم الناس في ذلك وتكلم العباس، فقال: يا رسول الله تركت علياً وأخرجتنا، فقال رسول الله ﷺ: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكن الله تركه وأخرجكم، وفي هذا بيان قوله لعلي عليه السلام: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى).

قالت العلماء: فأين هذا من القرآن؟

قال أبو الحسن عليه السلام: أوجدكم في ذلك قرآناً أقرأه عليكم، قالوا: هات، قال عليه السلام: قول الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً...﴾^(١)، في هذه الآية منزلة هارون من موسى وفيها أيضاً منزلة علي عليه السلام من رسول الله ﷺ، ومع هذا دليل ظاهر في رسول الله ﷺ حين قال: (إن هذا المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وآل محمد)^(٢).

فقال العلماء: هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلا

(١) سورة يونس: آية ٨٧.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ٢، ص ٢٠٨.

.....القول الفصل بين العترة والآل والأمة

عندكم معشر أهل بيت رسول الله ﷺ .

قال أبو الحسن عليه السلام: ومن ينكر لنا ذلك ورسول الله ﷺ يقول: (أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد مدينة العلم فليأتها من بابها)^(١)؟! ففيمَا أَوْضَحْنَا وَشَرَحْنَا من الفضل والشرف والتَّقدِمة والاصطفاء والطَّهارة ما لا ينكره إلَّا معاند، والله عزَّ وجلَّ الحمد على ذلك، فهذه الرَّابِعة.

وأما الخامسة فقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾^(٢)، خصوصيَّة خصَّهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الأُمَّة، فلمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ قال: أدعوا لي فاطمة، فدعوها له، فقال: يا فاطمة، قالت: لبيك يا رسول الله، فقال: (إنَّ فِدكَ لم يُوجَفَ عليها بخيل ولا ركاب، وهي لي خاصَّة دون المسلمين، وقد جعلتها لك لما أمرني الله به، فخذها لك ولولدك)، فهذه الخامسة.

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ٣٨.

(٢) سورة الإسراء: آية ٢٦.

وأما السادسة: فقول الله عز وجل: ﴿...قُلْ لَا
 أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (١)، فهذه
 خصوصية للنبي ﷺ دون الأنبياء، وخصوصية
 لآل دون غيرهم، وذلك أنّ الله حكى عن الأنبياء
 في ذكر نوح عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ
 أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا
 رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (٢)، وحكى عن
 هود عليه السلام قال: ﴿.. لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا
 عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣)، وقال لنبيه ﷺ:
 ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٤)، ولم
 يفرض الله مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدين
 أبداً، ولا يرجعون إلى ضلالة أبداً.

وأخرى أن يكون الرجل واداً للرجل فيكون بعض
 أهل بيته عدواً له فلا يسلم قلب، فأحبّ الله أن لا يكون

(١) سورة الشورى: آية ٢٣.

(٢) سورة هود: آية ٢٩.

(٣) سورة هود: آية ٥١.

(٤) سورة الشورى: آية ٢٣.

في قلب رسول الله ﷺ على المؤمنين شيء إذ فرض عليهم مودة ذي القربى، فمن أخذ بها وأحب رسول الله ﷺ وأحب أهل بيته عليه السلام لم يستطع رسول الله ﷺ أن يبغضه، ومن تركها ولم يأخذها وأبغض أهل بيت نبيه ﷺ فعلى رسول الله ﷺ أن يبغضه؛ لأنه قد ترك فريضة من فرائض الله، وأي فضيلة وأي شرف يتقدم هذا؟

ولما أنزل الله هذه الآية على نبيه ﷺ: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قام رسول الله ﷺ في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: (أيها الناس إن الله قد فرض عليكم فرضاً، فهل أنتم مأدوه؟) فلم يجبه أحد، فقام فيهم يوماً ثانياً، فقال مثل ذلك، فلم يجبه أحد، فقام فيهم يوم الثالث فقال: (أيها الناس إن الله قد فرض عليكم فرضاً، فهل أنتم مأدوه) فلم يجبه أحد فقال: أيها الناس أنه ليس ذهباً ولا فضةً ولا مأكولاً ولا مشروباً، قالوا: فهات إذاً؟ فتلا عليهم هذه الآية، فقالوا أما هذا

فنعم، فما وفي به أكثرهم.

ثم قال أبو الحسن عليه السلام: حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن لك يا رسول الله مؤنة في نفقتك وفيمن يأتيك من الوفود، وهذه أموالنا مع دماننا فاحكم فيها باراً مأجوراً، أعط ما شئت وأمسك ما شئت من غير حرج.

فأنزل الله عز وجل عليه الروح الأمين فقال: يا محمد! ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١)، لا تؤذوا قرابتي من بعدي، فخرجوا فقال أناس منهم: ما حمل رسول الله ﷺ على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحسنا على قرابته من بعده، إن هو إلا شيء افتراه في مجلسه، وكان ذلك من قولهم عظيماً، فأنزل الله هذه الآية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ

(١) سورة الشورى: آية ٢٣.

الرَّحِيمِ ﴿١﴾، فبعث إليهم النبي ﷺ فقال: هل من حدث؟ فقالوا: إي والله يا رسول الله، لقد تكلم بعضنا كلاماً عظيماً فكرهناه، فتلا عليهم رسول الله ﷺ فبكوا واشتدّ بكائهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾، فهذه السادسة.

وأما السابعة فيقول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٣﴾، وقد علم المعاندون منهم أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك؟ فقال: تقولون: (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ)، وهل بينكم - معاشر الناس - في هذا اختلاف؟ قالوا: لا.

(١) سورة الأحقاف: آية ٨.

(٢) سورة الشورى: آية ٢٥.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٥٦.

فقال المأمون: هذا ما لا اختلاف فيه أصلاً وعليه الإجماع، فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا القرآن؟ قال أبو الحسن عليه السلام: أخبروني عن قول الله: ﴿يَس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)، فمن عنى بقوله: يس؟ قال العلماء: يس محمد، ليس فيه شك.

قال أبو الحسن عليه السلام: أعطى الله محمداً وآل محمد من ذلك فضلاً لم يبلغ أحد كونه وصفه لمن عقله، وذلك أنّ الله لم يسلم على أحد إلا على الأنبياء صلوات الله عليهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(٣)، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(٤)، ولم يقل: سلام على آل نوح ولم يقل: سلام على آل إبراهيم ولا قال: سلام على آل موسى

(١) سورة يس: آية ١ - ٤ .

(٢) سورة الصافات: آية ٧٩ .

(٣) سورة الصافات: آية ١٠٩ .

(٤) سورة الصافات: آية ١٢٠ .

.....القول الفصل بين العترة والآل والأمة

وهارون، وقال عزّ وجلّ: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَسٍ﴾^(١)، يعني آل محمّد.

فقال المأمون: لقد علمت أن في معدن التّبوة شرح هذا وبيانه، فهذه السّابعة.

وأما الثّامنة فقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾^(٢)، فقرن سهم ذي القربى مع سهمه وسهم رسوله ﷺ، فهذا فصل بين الآل والأمة، لأنّ الله جعلهم في حيّز وجعل النّاس كلّهم في حيّز دون ذلك، ورضي لهم ما رضي لنفسه، واصطفاهم فيه وابتدأ بنفسه ثمّ ثنى برسوله ثمّ بذى القربى في كلّ ما كان من الفياء والغنيمة وغير ذلك ممّا رضيه عزّ وجلّ لنفسه ورضيه لهم، فقال وقوله الحقّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾، فهذا توكيدٌ مؤكّدٌ وأمرٌ دائمٌ لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله التّاطق الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ

(١) سورة الصّافات: آية ١٣٠.

(٢) سورة الأنفال: آية ٤١.

بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿١﴾،
 وأما قوله: ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ (٢) فَإِنَّ الْيَتِيمَ إِذَا
 انقطع يتمه خرج من المغنم ولم يكن له نصيب، وكذلك
 المسكين إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب في المغنم
 ولا يحلّ له أخذه، وسهم ذي القربى إلى يوم القيامة قائم
 فيهم للغني والفقير، لأنّه لا أحد أغنى من الله ولا من
 رسوله ﷺ .

فجعل لنفسه منها سهماً ولرسوله ﷺ سهماً، فما رضي
 لنفسه ولرسوله رضيهم، وكذلك الفيء ما رضيه لنفسه
 ولنبيّه ﷺ رضيه لذى القربى، كما جاز لهم في الغنيمة
 فبدأ بنفسه ثم برسوله ﷺ ثم بهم، وقرن سهمه بسهم
 الله وسهم رسوله ﷺ، وكذلك في الطّاعة، قال عزّ
 وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
 وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٣)، فبدأ بنفسه، ثم برسوله ﷺ،

(١) سورة فصلت: آية ٤٢ .

(٢) سورة الأنفال: آية ٤١ .

(٣) سورة النساء: آية ٥٩ .

ثم بأهل بيته.

وكذلك آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١)، فجعل ولايتهم مع طاعة الرسول مقرونة بطاعته كما جعل سهمه مع سهم الرسول مقروناً بأسهم في الغنيمة والفية، فتبارك الله ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت! فلما جاءت قصة الصدقة نزه نفسه عز ذكره ونزه رسول الله ﷺ ونزه أهل بيته عنها، فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ السَّبِيلَ فَرِيضَةٌ مِّنْ اللَّهِ...﴾^(٢)، فهل تجد في شيء من ذلك أنه جعل لنفسه سهماً، أو لرسوله ﷺ أو لذي القربى؟! لأنه لما نزههم عن الصدقة نزه نفسه ونزه رسوله ونزه أهل بيته، لا بل حرم عليهم، لأن الصدقة محرمة على محمد وأهل بيته، وهي أوساخ الناس لا تحل لهم، لأنهم طهروا من كل دنس ووسخ، فلما طهرهم واصطفاهم رضي لهم ما رضي

(١) سورة المائدة: آية ٥٥.

(٢) سورة التوبة: آية ٦٠.

لنفسه، وكره لهم ما كره لنفسه.

وأما التاسعة فنحن أهل الذكر الذين قال الله في محكم كتابه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، فقال العلماء إننا عنى بذلك اليهود والنصارى، قال أبو الحسن عليه السلام: (وهل يجوز ذلك إذا يدعوننا إلى دينهم ويقولون إنه أفضل من دين الإسلام)؟! فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح يخالف ما قالوا يا أبا الحسن؟ قال: نعم، الذكر رسول الله ونحن أهله، وذلك بين في كتاب الله يقوله في سورة الطلاق: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ..﴾^(٢)، فالذكر رسول الله ونحن أهله، فهذه التاسعة.

وأما العاشرة فقول الله عز وجل في آية التحريم: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ...﴾^(٣)

(١) سورة النحل: آية ٧.

(٢) سورة الطلاق: آية ١٠ و ١١.

(٣) سورة النساء: آية ٢٣.

.....القول الفصل بين العترة والآل والأمة

إلى آخرها، أخبروني، هل تصلح ابنتي أو ابنة ابنتي أو ما تناسل من صليبي لرسول الله أن يتزوجها لو كان حيًّا؟ قالوا: لا، قال عليه السلام: فأخبروني، هل كانت إبنة أحدكم تصلح له أن يتزوجها؟ قالوا: بلى، قال: فقال عليه السلام: ففي هذا بيان أنا من آل ولستم من آل، لو كنتم من آل لحُرِّمت عليه بناتكم كما حرِّمت عليه بناتي، لأننا من آل وأنتم من أمته، فهذا فرق بين الآل والأمة إذا لم تكن الآل فليست منه، فهذه العاشرة.

وأما الحادية عشرة فقوله في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١)، فكان ابن خال فرعون، فنسبه إلى فرعون بنسبه ولم يصفه إليه بدينه، وكذلك خصصنا نحن إذ كنا من آل رسول الله ﷺ بولادتنا منه، وعممنا الناس بدينه، فهذا فرق بين الآل والأمة، فهذه الحادية عشر.

وأما الثانية عشرة فقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ

(١) سورة غافر: آية ٢٨.

وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا... ﴿١﴾، فخصّنا بهذه الخصوصية إذ أمرنا مع أمره، ثم خصّنا دون الأمة، فكان رسول الله ﷺ يجيء إلى باب عليٍّ وفاطمة عليهما بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر في كلّ يوم عند حضور كلّ صلاةٍ خمس مرّاتٍ فيقول: «الصلاة يرحمكم الله»، وما أمركم الله أحداً من ذراري الأنبياء بهذه الكرامة التي أكرمنا الله بها وخصّنا من جميع أهل بيته، فهذا فرق ما بين الآل والأمة، والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمّد نبيّه ﴿٢﴾.

(١) سورة طه: آية ١٣٢.

(٢) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني: ص ٣١٣، وعميون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق: ج ١، ص ٢٢٨.

ولاية العهد:

دواعي ولاية العهد:

بعد أن قتل المأمون أخاه الأمين.. نظر إلى البلاد فإذا هي غير مستقرّة، ووجد معظم المسلمين لا يدينون بالطاعة له، بل رأى ثورات العلويين تشتعل هنا وهناك بين الحين والآخر، ففي الكوفة خرج أبو السرايا، وفي البصرة خرج زيدُ النار وعليُّ بن محمّد، وفي مكّة خرج محمّد الديباج، وفي اليمن إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام، وخرج محمّد بن سليمان في المدينة، وفي واسط والمدائن وغيرهما خرج في وجه السلطنة العبّاسيّة من يطالب بإسقاطها.

هذا، إضافة إلى ما حدث في الأسرة العبّاسيّة من انشقاقات وتنازعات، فامتنع بعضهم عن مبايعة المأمون، لا سيّما بعد أن علموا منه ما يريد بولاية العهد، فعمدوا إلى المغني العبّاسي إبراهيم بن المهديّ المعروف بـ «ابن شكّلة» فأمرّوه عليهم؛ نكايّةً بالمأمون.

كان أمام المأمون مهامّ كثيرة وثقيلة، واعترضته أمواج

عنيفة تهدد حكمه من كل الجهات، وأراد في البدء تخفيف الضغط العلوي عليه، فخطرت في ذهنه فكرة عرض الخلافة ثم ولاية العهد على الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، قاصداً إلى إنقاذ نفسه من الطوق الخانق لسلطته، لعله:

١. يُخمد ثورات العلويين أو يحصل منهم على اعتراف بشرعية حكمه.

٢. يستأصل احترام الناس لهم بأساليبه الخاصة.

٣. يكتسب ثقة العرب، مع الاحتفاظ بتأييد الخراسانيين وعامة أهل بلاد فارس له.

٤. ولعله يستطيع - واهماً - أن يأمن الخطر الذي يشعر به من تواجد الإمام الرضا عليه السلام بين الناس وهو يؤثر فيهم أبلغ تأثير.. وأن يمهد - بعد فرض الإقامة الجبرية والرقابة المشددة عليه - للتخلص منه بأسلوب ماكر.

من هنا أخذ المأمون يفكر في خطة غريبة من نوعها، تكون بنظره في غاية الإحكام والإتقان، وقد أفرط في دعواه الوفاق المذهبي، ثم راح يعلن براءة ذمته من أعداء أهل البيت عليه السلام، ثم هم بهذه الخطوة العجيبة، وهي:

أخذ البيعة للإمام عليّ الرضا عليه السلام بولاية العهد بعده، وجعله أمير بني هاشم جميعاً عباسيهم وطالبيهم، ولبس الثياب الخضراء.

هكذا.. بعد أن رأى أنه لن تنقاد له الرعية ولا القواد، ولن تستقيم الأمور إلا إذا أقدم على تلك اللعبة الجريئة، أجل جريئة ولكنها تضمخ خبثاً يستعمل عند اليأس، لضمان النتائج.

يقول المأمون للريان بن الصلت: (ويحك يا ريان أيجس أحد أن يجيء إلى خليفة وابن خليفة قد استقامت له الرعية والقواد، واستوت له الخلافة، فيقول له: إُدفع الخلافة من يدك إلى غيرك؟ أيجوز هذا في العقل..)^(١).

إذن، وراء عرضه الخلافة ثم ولاية العهد خطة لا تضر المأمون كثيراً إذا كان مصمماً على التخلص من وليّ العهد بأساليبه الخاصة.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق: ج ٢، ص ١٦٣.

المواجهة:

رأينا كيف أراد المأمون من لعبته تلك التغلب على المشاكل التي كان يواجهها، والاستفادة منها في تقوية دعائم سلطته، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هو موقف الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام من لعبة المأمون تلك؟

فقد قال له المأمون: يا ابن رسول الله ﷺ، قد عرفتُ فضلك وعلمك، وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحقَّ بالخلافة مني.

أجابه الإمام عليه السلام، قائلاً: (بالزهد بالدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله).

قال المأمون: فإني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك، وأبايعك.

فقال الإمام عليه السلام له: (إن كانت هذه الخلافة لك فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسك الله وتجعله لغيرك، وإن كانت

الخلافة ليست لك فلا يجوز أن تجعل لي ما ليس لك).

قال المأمون: لا بدّ لك من قبول هذا الأمر.

فقال عليه السلام: (لستُ أفعل ذلك طائعاً أبداً).

فما زال المأمون يحاول أيّاماً حتى يس من قبوله^(١).

وتنوّعت المحاولات وتعدّدت.. إلّا أنّها باءت

جميعها بالخيبة، وكان المأمون قبل ذلك يكتب الإمام

الرضا عليه السلام وهو بالمدينة ويُلحّ عليه بالقدوم إلى «مرو»

والإمام عليه السلام يمتنع حتى علم أنّه لا يكفّ عنه ولا يتركه،

فلما استدعاه وجاء إلى مرو أخذ يتهدّد الإمام بالقتل، تارة

تلويحاً وتارة تصريحاً، والإمام عليه السلام يأبى قبول ما يعرضه

عليه، إلى أن علم أنّ المأمون لا يكفّ عنه، وأنّه لا محيص

له عن القبول وإلّا فالأمر بلغ إلى القتل، فقبل عليه السلام ولاية

العهد مُكرهاً - وهو حزين - وذلك في السابع عشر من

شهر رمضان سنة ٢٠١ هجرية.

يقول أبو الفرج الإصفهاني: أرسل المأمون الفضل

والحسن ابني سهل إلى علي بن موسى عليه السلام فعرضاً ذلك

(١) مناقب آل ابي طالب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص ٤٧٢.

(يعني ولاية العهد) عليه فأبى، فلم يزالا به وهو يأبى ذلك ويمتنع منه إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت ذلك، وإلا فَعَلْنَا بِكَ وَصَنَعْنَا، وتهدّده، ثم قال له أحدهما: والله أمرني (المأمون) بضرب عنقك إذا خالفت ما يريد! ثم دعا به المأمون وتهدّده فامتنع، فقال له قولاً شبيهاً بالتهديد...^(١).

وقال له المأمون بعدما رآه يأبى: يا ابن رسول الله ﷺ، إنما تريد بذلك (يعني بما أخبره عليه السلام) عن آبائه من شهادته قبله مسموماً، فلا معنى لولاية عهد تُوكَلُ إلى من يُتوفى قبل الحاكم) التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس: إنك زاهد في الدنيا!

فقال الإمام الرضا عليه السلام: والله ما كذبتُ منذ خَلَقَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، وما زَهَدْتُ في الدنيا للدنيا، وإنِّي لأعلم ما تريد.

فقال المأمون: وما أريد؟!!

(١) مقاتل الطالبين لابي الفرج الأصفهاني: ص ٥٦٢ و ٥٦٣، والإرشاد، للشيخ المفيد: ص ٣١٠.

قال: الأمان على الصدق؟ قال: لك الأمان.

قال عليّ عليه السلام: تريد بذلك أن يقول الناس: إنّ عليّ بن موسى لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة؟!

فغضب المأمون وقال له: إنّك تتلقّاني أبداً بما أكره.. فبالله أقسم: لئن قبلت ولاية العهد، وإلاّ أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلاّ ضربت عنقك.

قال الإمام الرضا عليه السلام: (قد نهاني الله تعالى أن ألقى بيدي إلى التهلكة فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك وأنا أقبل على أيّ لا أوليّ أحدا ولا أعزل أحدا ولا أنقض رسماً ولا سنة وأكون في الأمر من بعيد مشيراً)، فرضي منه بذلك وجعله وليّ عهده على كراهة منه عليه السلام بذلك^(١).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق: ج ٢، ص ١٥٢.

وضع النقاط على الحروف:

ومن هنا يكون الإمام عليّ الرضا عليه السلام قد ثبتّ أموراً عديدة:

١. فضح المأمون في جميع ادّعاءاته، وكشف سرائره ونواياه الخبيثة.. فلو كان حقاً يُريد أن يتنازل عن الحكم ويرى أنّ الإمام عليه السلام أحقّ بالخلافة لما عامله بذلك الأسلوب العنيف، ولما مارس الطريقة المتتوية في خلع لباس السلطة، وكيف أتاح لنفسه أن يجلس تلك المدّة في مجلس لا يحقّ له؟! ألم يكن يسمع من قبل بالإمامة يتوارثها أوصياء رسول الله ﷺ أباً عن جدّ بنصّ - بل بنصوص - من الله تعالى ونبّيه ﷺ؟!!

٢. أوصل الإمام الرضا عليه السلام السلطة إلى حالة إعلان القتل، ليكون التكليف واضحاً.. وأنّ الإمام عليه السلام لم يأت إلى مَرَوْ طوعاً ولا رغبةً في حكم، كما لم يتقبّل: لا الخلافة الظاهرية ولا ولاية عهد المأمون طائعاً أو راغباً أبداً.

.....وضع النقاط على الحروف

٣. وبعد أن تكون ولاية العهد قد كُتبت في وثيقة، أخذ الإمام الرضا عليه السلام يُفرغها من محتواها عملياً من جهة، ويُعلن للآخرين أنه مُجبر عليها، وأنه لم يندمج مع السلطة العباسية في أيّ شأن من شؤونها من جهة أخرى، فعن الريان بن الصلت قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام، فقلت له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، إن الناس يقولون: إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا، فقال عليه السلام: (قد علم الله كراحتي لذلك، فلما حُيِّرْت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل، ويجهم أما علموا أن يوسف عليه السلام كان نبيا رسولا فلما دفعته الضرورة إلى تولى خزائن العزيز قال له: (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)^(١)، ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الاشراف على الهلاك، على أني ما دخلت في هذا الامر إلا دخول خارج منه، فإلى الله المشتكى وهو المستعان)^(٢).

(١) سورة يوسف: آية ٥٥.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٧، ص ٢٠٣.

٤. أثبت الإمام الرضا عليه السلام بشكل مباشر وغير مباشر أنّ النظام القائم لا يمتلك شرعية دينية، وقد اتّضح للناس ذلك من خلال رفضه للخلافة التي عرضها المأمون عليه، لأنّ الجهاز الحاكم جهاز منحرف فاسد، وهذا الرفض يوجّه إصبع الاتهام إلى السلطة، ثم لم يصدر من الإمام عليه السلام ما يشير - ولو من بعيد - إلى شرعية السلطة أبداً، بل الذي صدر هو العكس، حينما أصرّ الإمام عليه السلام على أن لا يتدخل في شؤون الحكم من تعيين أو عزل أو تثبيت، وبذلك فهم الجميع أنه عليه السلام لا يرى النظام الحاكم إلاّ جهازاً فاسداً غير شرعيّ.

وهنا أصبح المأمون في حيرة من أمره، إذ لم يبقَ له مجال فسيح لتنفيذ جميع مخططاته، ولم يتمكن من إجبار الإمام عليه السلام على تنفيذ إرادات الحكم العباسي، ولم يستطع طلاء سلطته بطلاء شرعيّ.

الإمام عليّ عليه السلام مع دعبل الخزاعي

عن أبي الصلت الهروي قال: دخل دعبل الخزاعي علي علي الرضا عليه السلام بمرور فقال له: يا بن رسول الله ﷺ، إني قد قلت فيك قصيدة، وآليت علي نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك.

فقال عليّ عليه السلام: هاتها، فأنشده:

مدارس آيات خلت من تلاوة

ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما انتهى إلى قوله:

وقبر ببغداد لنفس زكية

تضمّنها الرحمن في الغرفات

قال له الرضا عليه السلام: (أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك)؟ فقال: بلى يا بن رسول الله، فقال عليّ عليه السلام: وقبر بطوس يا لها من مصيبة

توقد في الأحشاء بالحرقات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً

يفرّج عنا الهمم والكربات

فقال دعبل: يا بن رسول الله ﷺ هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟ فقال الرضا عليه السلام: (قبري، ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزوّاري، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له)^(١).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق: ج ١، ص ٢٤٩.

وأخيراً.. الحسم الشيطاني

لم يجد المأمون أنه قد بلغ شيئاً من أهدافه، بل راح يواجه نظرات المجتمع ترمقه باستهجان، وأخذ الوضع العباسي يتخلخل ويتزعزع، ثم وجد أنه استدعى عدواً إلى جنبه يفضحه وجوده معه في كلّ زمان ومكان.. فتحيّر واضطرب، وهاجت هواجسه وسيطرت عليه فكرة العنف والتصفية، فبدأ بمن حوله لينتهي إلى أن يحسم الأمر بالقتل المباشر بيده اللئيمة، فقدم العنب المسموم إلى الإمام الرضا عليه السلام، بعد أن كانت مقدمته العرض المسموم للخلافة وولاية العهد.

كيفية سمه وشهادته عليه السلام :

قال الإمام الرضا عليه السلام: (يا أبا الصلت، غداً أدخل إلى هذا الفاجر، فإن أنا خرجت وأنا مكشوف الرأس فتكلم أكلمك، وإن خرجت وأنا مغطى الرأس فلا تكلمني).

قال أبو الصلت: فلما أصبحنا من الغد لبس ثيابه، وجلس في محرابه ينتظر، فبينما هو كذلك إذ دخل عليه

غلام المأمون، فقال له: أجب أمير المؤمنين، فلبس نعله ورداءه وقام يمشي وأنا أتبعه، حتى دخل على المأمون وبين يديه طبق عليه عنب، وأطباق فاكهة بين يديه، ويده عنقود عنب قد أكل بعضه وبقي بعضه، فلما أبصر بالرضاء عليه وثب إليه وعانقه، وقبل ما بين عينيه وأجلسه معه، ثم ناوله العنقود وقال: يا بن رسول الله، هل رأيت عنباً أحسن من هذا؟.

فقال له الإمام الرضا عليه السلام: (ربما كان عنباً حسناً يكون من الجنة)، فقال له: كل منه، فقال له الإمام الرضا عليه السلام: (أو تعفيني منه)؟ فقال: لا بد من ذلك، ما يمنعك منه؟ لعلك تتهمنا بشيء؟ فتناول العنقود فأكل منه، ثم ناوله فأكل منه الرضا عليه السلام، ثلاث حبات، ثم رمى به وقام، فقال له المأمون: إلى أين؟ قال عليه السلام: (إلى حيث وجهتني).

وخرج عليه السلام مغطى الرأس، فلم أكلمه حتى دخل الدار، فأمر أن يُغلق الباب فأغلق، ثم نام على فراشه، فمكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً، فبينما أنا كذلك إذ دخل عليّ شاب حسن

الوجه ققط الشعر، أشبه الناس بالرضا عليه السلام، فبادرت إليه فقلت له: من أين دخلت والباب مغلق؟ فقال لي: (الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت، هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق)، فقلت له: ومن أنت؟ فقال لي: (أنا حجة الله عليك يا أبا الصلت، أنا محمد بن علي).

ثم مضى نحو أبيه عليه السلام، فدخل وأمرني بالدخول معه، فلما نظر إليه الإمام الرضا عليه السلام، وثب إليه وعانقه وضمه إلى صدره وقبل ما بين عينيه، ثم سحبه سحباً إلى فراشه، وأكب عليه محمد بن علي عليه السلام يقبله ويساره بشيء لم أفهمه، ورأيت على شفتي الإمام الرضا عليه السلام زبداً أشدّ بياضاً من الثلج، ورأيت أبا جعفر عليه السلام يلحسه بلسانه، ثم أدخل يده بين ثوبه وصدره، فاستخرج منه شيئاً شبيهاً بالعصفور، فابتلعه أبو جعفر عليه السلام، ومضى الرضا عليه السلام^(١).

(١) الأملاني للشيخ الصدوق: ص ٧٦٠.

مراسيم الغسل والدفن والصلاة على الإمام عليّ عليه السلام :

قال أبو جعفر - الإمام الجواد عليه السلام -: (قم يا أبا الصلت ائتني بالمغتسل والماء من الخزانة)، فقلت: ما في الخزانة مغتسل ولا ماء. فقال لي: ائته إلي ما أمرك به. فدخلت الخزانة فإذا فيها مغتسل وماء فأخرجته وشمرت ثيابي لأغسله فقال لي: (تنح يا أبا الصلت، فإن لي من يعينني غيرك في غسله)، ثم قال لي: (ادخل الخزانة فاخرج إلى السفت الذي فيه كفته وحنوطه)، فدخلت، فإذا أنا بسفت لم أره في تلك الخزانة قط فحملته إليه، فكفّنه وصلى عليه ثم قال لي: (ائتني بالتابوت) فقلت: امضي إلى النجار حتى يصلح التابوت قال: (قم فإن في الخزانة تابوتا) فدخلت الخزانة فوجدت تابوتا لم أره قط، فأتيته به فأخذ الرضا عليه السلام بعدما صلى عليه فوضعه في التابوت وصف قدميه وصلى ركعتين لم يفرغ منهما حتى علا التابوت وانشق السقف فخرج منه التابوت ومضى، فقلت: يا بن رسول الله الساعة يجيئنا المأمون ويطالبنا بالرضا عليه السلام، فما نصنع؟ فقال لي: (أسكت فإنه سيعود يا أبا الصلت ما من نبي يموت بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلا جمع الله بين

أرواحهما وأجسادهما) وما أتم الحديث حتى انشق السقف ونزل التابوت فقام عليه السلام فاستخرج الرضا عليه السلام من التابوت ووضع على فراشه كأنه لم يغسل ولم يكفن ثم قال لي: (يا أبا الصلت قم فافتح الباب للمؤمن) ففتحت الباب، فإذا المؤمن والغلمان بالباب فدخل باكيا حزينا قد شق جيبه ولطم رأسه وهو يقول: يا سيده فجعت بك يا سيدي، ثم دخل فجلس عند رأسه وقال: خذوا في تجهيزه فأمر بحفر القبر، فحفرت الموضع فظهر كل شيء على ما وصفه الرضا عليه السلام، فقال له بعض جلسائه: أأنت تزعم إنه إمام؟ فقال: بلى لا يكون الإمام إلا مقدم الناس فأمر أن يحفر له في القبلة فقلت له: أمرني أن يحفر له سبع مراقي وأن أشق له ضريحه فقال: انتهوا إلى ما يأمر به أبو الصلت سوى الضريح، ولكن يحفر له ويلحد فلما رأى ما ظهر له من النداءة والحيتان وغير ذلك قال المؤمن: لم يزل الرضا عليه السلام يرينا عجائبه في حياته حتى أراناها بعد وفاته أيضا، فقال له وزير كان معه: أتدري ما أخبرك به الرضا عليه السلام؟ قال: لا، قال: إنه قد أخبرك إن ملككم يا بني العباس مع كثرتكم وطول مدتكم مثل هذه الحيتان حتى إذا فنيت آجالكم وانقطعت آثاركم وذهبت دولتكم سلط

..... مراسم الغسل والدفن والصلاة على الإمام عليه السلام.

الله تعالى عليكم رجلا منا فأفناكم عن آخركم، قال له: صدقت، ثم قال لي: يا أبا الصلت علمني الكلام الذي تكلمت به، قلت: والله لقد نسيت الكلام من ساعتني وقد كنت صدقت، فأمر بحبسي ودفن الرضاء عليه السلام فحبست سنة فضاق علي الحبس وسهرت الليلة ودعوت الله تبارك وتعالى بدعاء ذكرت فيه محمدا وآل محمد صلوات الله عليهم وسألت الله بحقهم أن يفرج عني، فما استتم دعائي حتى دخل علي أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام فقال لي: يا أبا الصلت ضاق صدرك؟ فقلت: إي والله، قال: قم فأخرج ثم ضرب يده إلى القيود التي كانت علي ففكها وأخذ بيدي وأخرجني من الدار والحرسمة والغلمان يروني فلم يستطيعوا أن يكلموني وخرجت من باب الدار، ثم قال لي إمض في ودائع الله فإنك لن تصل إليه ولا يصل إليك أبداً، فقال أبو الصلت: فلم ألتق المأمون إلى هذا الوقت^(١).

(١) عيون أخبار الرضاء عليه السلام للشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٢٧٤.

ثواب زيارته عليه السلام :

عن أبي الصلت الهروي، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: (والله ما منّا إلا مقتول شهيد)، فقيل له: فمن يقتلك يا بن رسول الله؟ قال: (شرّ خلق الله في زماني، يقتلني بالسم، ثمّ يدفني في دار مضيعة^(١)) وبلاد غربة، ألا فمن زارني في غربتي كتب الله عزّ وجلّ له أجر مائة ألف شهيد، ومائة ألف صديق، ومائة ألف حاج ومعتمر، ومائة ألف مجاهد، وحُشر في زمرتنا، وجُعِل في الدرجات العلى من الجنة رفيقنا^(٢).

وعنه أيضاً، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: (هذه تربتي وفيها أدفن، وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبّتي، والله ما يزورني منهم زائر، ولا يسلم علي منهم مسلم، إلاّ وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت)^(٣).

والحمد لله ربّ العالمين

وسلاماً على عباده

الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين

تمّ بحمد الله

(١) مضيعة: أي دار ضياع وانقطاع. وفي بعض النسخ «دار مضيعة»

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٢٠.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق: ج ١، ص ١٤٧.

الفهرس

- المقدمة: ٥
- نسبه الشريف عليه السلام: ٧
- كنيته عليه السلام: ١٤
- ألقابه: ١٤
- تاريخ ولادته عليه السلام ومكانها: ١٦
- إمامة الإمام الرضا عليه السلام: ١٨
- المحطة الأولى: ما هي الإمامة؟ ١٨
- المحطة الثانية: الأدلة العقلية ٢١
- المحطة الثالثة: الأدلة النقلية ٢٥
- النص العام: ٢٥
- النص الخاص: ٢٦
- أحاديث الإمام الرضا عليه السلام: ٣٤
- حديث السلسلة الذهبية: ٣٤
- أحاديثه عليه السلام العقائدية: ٣٨
- أحاديثه عليه السلام الأخلاقية والاجتماعية: ٤٢
- محاوراته ومناظراته عليه السلام: ٤٦
- حوار في آفاق عقائدية: ٤٩
- دفاعه عليه السلام عن التوحيد: ٥٢

- ٥٨..... القول الفصل بين «العترة» و«الآل» و«الأمة»
- ٧٧..... ولاية العهد:
- ٧٧..... دواعي ولاية العهد:
- ٨٠..... المواجهة:
- ٨٤..... وضع النقاط على الحروف:
- ٨٧..... الإمام عليه السلام مع دعبل الخزاعي.
- ٨٨..... وأخيراً.. الحسم الشيطاني.
- ٨٨..... كيفية سمه وشهادته عليه السلام:
- ٩١..... مراسيم الغسل والدفن والصلاة على الإمام عليه السلام:
- ٩٤..... ثواب زيارته عليه السلام: